

معنى الاتحاد القومى

تحيا معنا الآن فى لحظتنا التاريخية المجيدة الراهنة كلمات نتداولها فى بساطة ، ونعبر بها عن أشياء تدور فى خواطرننا ولكننا قد لا نستطيع تحديد كنيتهأ أو الإحاطة بها إحاطة تفصيلية .

فكلمة القومية العربية مثلا ، أن معناها الظاهرى واضح وبسيط ولا يحتاج إلى أعمال فكر أو بحث تاريخ ، ولكننا نقولها ونحن لا نعنى ذلك المعنى البسيط فقط ، أما نحن نحاول أن نعبر بكلمة القومية العربية عن أشياء ومعانى ومدلولات كثيرة ندركها بوجداننا ، لكننا لم نستطع بعد أن نحددها التحديد العلمى الواضح ، ولهذا فمجال البحث فى مدلول كلمة القومية العربية وأبعادها فى حاجة إلى دراسات ومؤتمرات وكتب كثيرة قبل أن نجرؤ على القول أننا قد أحطنا بها إحاطة كاملة .

كلمة الاتحاد القومى

وكذلك كلمة مثل الاتحاد القومى ، نقولها ببساطة أيضا ، وممكن أن تعنى بقولها مجرد التعبير عن المعنى السريع الخاطف الذى تؤديه الكلمة ، ولكن الواقع هو أننا لا نتداول كلمة الاتحادى لنعبر بها فقط عن هذا المعنى السريع ، ولكننا نقولها لنعبر أيضا عن معان ومدلولات كثيرة مما يدور فى خلدنا ولم يخرج بعد من حيز الوجدان إلى حيز المنطق والدبر والتفكير .

وتلك ظاهرة كفاحا الراهن ..

فنحن نعمل بوحى فطرى تمليه علينا غريزتنا فى طلب الحرية والاستقلال والعيش فى سلام ، وكثيرا ما نعمل أولا ثم نلفسف بعد ذلك ونفكر ..

نحن الآن فى مرحلة العمل ، فى مرحلة الكفاح الغريزى من أجل الحرية والبقاء ، ولهذا فأعمالنا تعتبر فى الوقت نفسه فكرا وفلسفة ، أو تعبير فى الوقت نفسه عن فكر وفلسفة .

وكلمة الاتحاد القومى تتداول الآن بكثرة ، والعمل قائم على قدم وساق لبنائه وتأسيس دعائمه ، وقد تكون هذه الكلمة بسيطة وواضحة ليست فى حاجة إلى شرح أو دراسة أو تفسير ، وقد يمكن أن تؤخذ كما هى وتفهم كما هى ، ويبنى الاتحاد القومى على هذه الأسس .
وممكن أيضا أن نحاول أن ندرك ماذا نعنيه بقولنا " الاتحاد القومى " أكثر من مجرد المعنى الظاهرى للكلمة .

ماذا وراء الاتحاد القومى ؟

الاجابة على هذا السؤال بسيطة ، وتحتاج لأكثر من عقل وأكثر من قلم وأكثر من كتاب ، بل تحتاج إلى جال واختلاف وصراع .
ولكن ..

فى رأينا ، أنه مهما تعددت الطرق التى تسلك للاجابة على هذا السؤال ، فلا بد أن تنتهى كلها إلى أنه من الواجب علينا لكى ندرك ما وراء قيام الاتحاد القومى ، أن نعرف وضعنا الراهن على التحديد ..
وضعنا السياسى والاجتماعى والاقتصادى القائم اليوم فى الجمهورية العربية المتحدة ، الوضع الكائن والوضع الذى كان .

وقد لا يدعو الأمر إلى الخوض في تفاصيل كثيرة ، ولكن كل ما تستطيع قوله الآن هو أن الوضع القائم في الجمهورية العربية المتحدة وضع كان يمكن إلا أن يوجد ، وكان لا يمكن أن يوجد إلا على الصورة الموجودة بها الآن ..

تلك حقيقة من الصعب أن يصدقها بعض من لم يتعودوا تصدق الحقائق ، ولكن هذا لا ينفي أنها حقيقة . .

والخطأ دائما يأتي من محاولة تطبيق ما يحدث في بلد ما على ما يحدث في بلاد أخرى ، وكذلك من محاولة تطبيق ما حدث في بلاد أخرى خلال فترات تاريخية مماثلة على ما يحدث في بلد ما ، أن هذا التطبيق الأعمى يؤدي دائما إلى نتائج وخيمة ، بل أحيانا إلى ماسى دامية ..

وإذا أخذنا البلاد التي استعمرت فترة من فترات تاريخها ثم تحررت واستقلت ، نجد أن كل بلد منها قد ثار على الاستعمار وتحرر بطريقة اختلفت من بلد إلى آخر .

قضية التحرر واحدة ولكن ..

قضية التحرر واحدة دائما ، ولكن الكيفية التي يتم بها هذا التحرر لا بد أن تختلف تبعا لاختلاف الظروف والأوضاع والملابسات .

فهي تختلف مثلا تبعا لـ :

- اختلاف نوع الاستعمار والسيطرة .
- اختلاف طبيعة الشعب المستعمر وجغرافيته .
- المرحلة التاريخية السابقة على الاستعمار .

– المحاولات التي قامت للتخلص منه وخبرة الشعب الذاتية في الكفاح ضده.

– وضع البلد المستعمر من العالم وكذلك وضع البلد المستعمر .

– المرحلة التاريخية التي تم فيها الاستعمار .

– المرحلة التاريخية التي يتم فيها التحرر .

– الوضع العالمى .

وليست هذه بالتأكيد هى كل العوامل ، فقد أوردناها على سبيل

التمثيل لا الحصر ..

ولكننا لو أخذنا بلدا كمصر مثلا فنحن حينئذ لا نستطيع أن نطبق

عليها ما حدث فى الصين ، ولا ما حدث فى أندونيسيا ، ولا ما يحدث

الآن فى الجزائر .. كل بلد من هذه البلاد سلك ويسلك إلى الحرية طريقا

مختلفا عن الطريق الذى يسلكه غيره لاختلاف العوامل السابقة فى هذا

البلد عنها فى البلاد الأخرى ...

ولهذا ، ومن حيث أن الطريق الذى يسلكه كل شعب إلى التحرر

مختلف ، فلا بد أن يكون الوضع بعد التحرر مختلفا أيضا .

صحيح أن الدول المختلفة تكون قد استقلت وتحررت وانتقلت من بند

المستعمرات إلى بند الدول ذات السيادة ، لكن الأوضاع فى هذه البلاد

المستقلة لا بد أن تكون مختلفة ، وأن تمتعت جميعها بالحرية والاستقلال

..

الاختلاف عامل قوة

والاختلاف هذا ليس عامل ضعف ، أنه عامل قوة ، فالشعب حين يثور على القوى الاستعمارية التي تستعبده يختار دائما أنسب الطرق لأنجاح ثورته ، واختياره هذا لا يكون وليد الصدفة ، ولا تتفتق عنه عبقرية واحد من الناس ، ولكنه اختيار مستمد من خبرة الشعب الطويلة التي تكونت لديه خلال العشرات أو المئات أو ربما الألوف من السنين التي كان عليه فيها أن يكافح أعداءه ويخلص بلاده من ريقتهم .
ولهذا فأن وسائل المقاومة التي يستتبها كل شعب تختلف أيضا — تبعا لاختلاف الظروف المشار إليها — من بلد لآخر ، ولكن الأمر المؤكد هو أن الوسيلة التي يختارها الشعب هي أنسب وسيلة مقاومة بالنسبة له ولتاريخه وظروفه . .

تجارب مع الاستعمار

وإذا جئنا إلى الوضع في مصر وجدنا أنه منذ أن وضع أعداؤنا الإنجليز أقدامهم في بلادنا ، بل وقبل أن يضعوا أقدامهم في بلادنا ، ونحن نقاومهم مقاومة لا هوادة فيها ولا توقف ، جربنا طرقا كثيرة لهذه المقاومة ، وجربنا الحرب السافرة (حرب الجيوش للجيوش كما حدث في ثورة عرابي سنة 1882) ، وجربنا الصبر والترقب ، وجربنا المفاوضات ، وجربنا الثورة الشعبية والعصيان وحرب العصابات والمقاطعة ..

وكان الاحتلال الإنجليزي يجرب هو الآخر معنا وسائله ، جرب معنا العنف السافر فلما فشل ، لجأ إلى الخداع والتضليل ، وصرف الأنظار إلى أعداء آخرين وهميين غيره ، وإلباس رئيس الوزراء الإنجليزي ثوبا مصرياً ، أو إلباس رئيس الوزراء المصري ثوبا إنجليزيا ، واستعمال

الشعب ضد السلطان أو الملك واستعمال الملك ضد الشعب ، والوفد ضد الدستوريين ، والسعديين ضد الكتليين .. ولم يفرغ جرابه أبدا .. وأخيرا جدا ، وفى سنة 1952 جربنا مع الاستعمار سلاحا آخر .. واحد من سلسلة حروب المقاومة التى لم تهدأ منذ أن وضع الإنجليز أقدامهم على أرضنا ، وكانت التجربة محفوفة بالخطورة العظمى ، فقد كانت تجربة ضد راس الرمح فى القوى المسيطرة على الحكم فى مصر ..

تجربة مع الملك

أما لماذا الملك بالذات ، فالواقع أننا الآن نستطيع أن نتكلم ..والآن بعد أن أنجلى غبار المعركة ، وبعد أن صنعنا من بلدنا وطنا حرا مستقلا ، نستطيع أن ننظر إلى ما فعلناه ، ونحلله ونرى ما فيه من خطأ وما فيه من صواب ، والدافع الذى حدا إليه ..

فالحقيقة التى نستطيع أن نقولها بملء فمنا الآن هى أننا فى تجاربنا المختلفة لطرد المستعمرين ، كنا قد غفلنا — او كان الاستعمار قد أفلح فى صرف أنظارنا ، عن الحقيقة البسيطة التى لا يمكن أن تخفى على أحد .. تلك الحقيقة التى تقول أن الإنجليز لم يستطيعوا احتلال مصر إلا بالتأمر مع الخديوى توفيق — رأس الدولة فى ذلك الوقت — ضد الشعب المصرى ..

توفيق فتح الباب على مصراعيه وقال للقوات الإنجليزية ، تفضلى على الرحب والسعة ، احمى عرشى ، واحمى ثروتى وممتلكاتى واسرتى من الشعب المصرى ، اكن عبدك المخلص الأمين القائم على طاعتك ، المستعد فى أية لحظة للقيام بكل ما تشائين .. أمامكم مصر ..

احتلوها واستعمروها وافعلوا فيها ما شئتم .. فقط دعوني اكن خديويا ،
ودعوا اولادى من بعدى يكونوا ملوكا ..

كنا قد نسينا تلك الحقيقة البسيطة ، فقد ظل الشعب سنوات كثيرة
يعتبر أن فاروق ملكه الدستورى وأن له كل الحقوق المخولة وغير
المخولة للملوك وليس عليه واجب واحد ، مع أن فاروق فى الحقيقة لم
يكن سوى ابن فؤاد ، وفؤاد لم يكن سوى أخ توفيق الذى فتح البلاد على
مصارعها للمحتلين ..

كان فاروق أذن ملك وضعه الإنجليز — كما وضعوا ده — على
عرش مصر فى مقابل أن يسهل لهم مهمتهم ، أى فى مقابل أن يضعوا
هم أقدامهم على أرض مصر ، يحتل هو العرش فى مقابل أن يحتلوا هم
البلد ، ويحتلوا هم البلد فى مقابل أن يحتل هو العرش ..

ولأن الأوضاع كانت قد تغيرت منذ أيام توفيق ولم يعد الملوك و
الخديويون يحكمون الشعب حكما مباشرا ، فقد كان لا بد من التمشى مع
الزمن ، ومتابعة آخر المودات الملكية ، ولهذا كان لابد من دستور ما
يجعل من الحكم الملكى حكما دستوريا ، ويجعل من الملك (الركيزة
الأولى للاحتلال لبريطانى) أعلى سلطة فى الدولة ، ويجعل من سلطته
آلهية مطلقة لا يستطيع كائن من كان أن يعارضها ..

ولكى يتخذ هذا الدستور شكلا مقبولا من الشعب كان لابد من وزارة
ورئيس وزارة ومجلس نواب ومجلس شيوخ ..

أجل ، لكى يحكم الملك باسم المحور الملكى الاستعمارى كان لابد
له من وزارة ، ولكى تحكم الوزارة كان لابد لها من برلمان ، ولكى
يوجد البرلمان كان لابد له من قيام أحزاب ..

تجربة مع الأحزاب

والأحزاب لا بد أن تكون شعبية ، إذ هي مركز اتصال هذا الجهاز الملكى بالشعب ، أى هي الأرض التى يقف عليها هذا الجهاز الملكى المتصل من قمة رأسه بالمستعمر المحتل اتصالا مباشرا ..

ونحن لا نقول أن الأحزاب كانت أحزابا استعمارية أو تعمل لمصلحة الإنجليز نحن لا نحاول أن نتهم ، ولا نحاول أن نحاكم ، وإنما نحن نحاول فقط أن نضع النقاط فوق الحروف كما يقولون ..

فليس معنى هذا أن الأحزاب – حتى ولو كانت مخلصه شريفة مائة فى المائة – لم تكن مشتركة فى هذا النظام الملكى اشتراكا فعليا ..

وليس معنى أن آلاف المواطنين المخلصين الشرفاء الذين انضموا لهذه الأحزاب لم يكونوا فعلا مواطنين مخلصين شرفاء ..

ولكن لن ينفى هذا أبدا أن الأحزاب كانت هي الأرض التى يقف عليها ذلك النظام الملكى المتكامل الخاضع خضوعا مباشرا لإرادة المستعمر ..

ونحن لا ننفى هنا كل الأعمال الطيبة التى قد تكون بعض هذه الأحزاب قد قامت بها ، ولكن الأحزاب كانت جزءا متما وأساسيا فى فى تكوين الجهاز الملكى الذى كانت تحكم به مصر لمصلحة الاستعمار .. وممكن أن يكون الواحد منا أنسأنا شريفا ومخلصا ولكنه يخدم بحركته وكفاحه نظاما خبيثا شريرا ..

أنا هنا نتكلم عن النظام كله ، عن النظام كما أراده الاستعمار أن يكون ، عن النظام الذى كان ، والذى تمكن الاستعمار بواسطته من أن

يحكم مصر أكثر من سبعين عاما وأن يخمد بواسطته ثورات 16 و 36 و 46 و 51 .

ذلك أن الاستعمار كان يملك فى يده صمام الأمن دائما ، كلما غلت
مراحل الشعب بالثورة ضغط الاستعمار على زر فتحرك الملك ، وضغط
الملك على زر فقدم رئيس الوزراء المكروه من الشعب استقالته ،
ويضغط الملك على زر آخر فينحل البرلمان ، وعلى ثالث فتجرى
الانتخابات ، وعلى رابع فيجىء رئيس وزراء آخر بوعود أخرى وحزب
آخر وبرلمان آخر إلى الحكم ، وتتغير الوجوه ، ويتوقف المرجل عن
الغليان برهة لسوف يكون .. !

وإلى أن يدرك الشعب الخدعة ففى المجال متسع لراحة الجواد
المقاتل ، واستنفاد طاقة الجواد المربوط فى عربة الحكم حتى إذا ما بدأ
المرجل يغلى ، ضغط الملك على أزراره وحدثت اقلالات واستقالات
وإنتخابات وجاءت الى الحكم وجوه أخرى بوعود أخرى وبرلمانات
أخرى .. وهكذا دواليك ..

ضد الإنجليز دائما

وكانت الانتفاضة الشعبية التى قامت فى مصر منذ أن احتلنا الإنجليز
توجه ضد الإنجليز دائما باعتبارهم العدو الرئيسى الواضح ..
كان الشعب يندفع للثورة على الإنجليز فتضربه الحكومات المصرية
القائمة ، الجنود المصريون هم الذين كانوا يضربون الشعب المصرى
لأنه يثور على الإنجليز !! ..

ويصبح الشعب حينئذ محصورا بين الإنجليز من أمام و(المصريين)
الحاكمين من الخلف .. ونحن لا نبالغ ، فالذى يذكر حادثة كوبرى عباس
لابد أن يذكر أن بعض شباب مصر قطعت أجسادهم ضربا وتقتيلا وهم
محاصرون على كوبرى عباس بين فينتر باتريك الإنجليزى من ناحية
الروضة ، وحكمدار البوليس المصرى من ناحية الجيزة !! .
كان الشعب المتحمس المخلص يهب للثورة على الإنجليز ويشتبك
معهم غير ملق بالا إلى الطابور الخامس المتنكر فى زى ملك ، والمتنكر
فى زى وزير على صورة أحزاب والواقف خلف ظهره ليطعنه فى
اللحظة الحرجة ..

3 ثورات فاشلة ناجحة

ولهذا فشلت ثورة 36 ، وفشلت ثورة 46 ، وفشلت ثورة 51 والواقع أننا نقول أن ثورات 36 و46 و51 فشلت ، ولكننا نقول أنها فشلت مجازا ، فالثورة إذا قامت لأبد أن تتجح ، أن فشلها في ذاته يعد نجاحا لأن الدروس التي يستخلصها الشعب منها هي نفسها العوامل التي تكتب النجاح لما يتلوها من ثورات ...

وعناصر الفشل في أية ثورة ماضية هي نفسها عناصر النجاح في أية ثورة قادمة ..و تلك الثورات التي فشلت رسبت في ضمير الشعب المصرى حقيقة كان بدأ يحسها ويدرك كنهها من تلك الضربات الخلفية. كان قد بدأ يحس (وخاصة بعد 51) أن شيئا ما ليس على ما يرام في الوضع الداخلى ..

أن هناك خطأ مشتركا : ما الذى سبب فشل أنتفاضة الشعب في 36و46و51 ؟ ..

أن شيئا ما يضربه من الخلف كلما ثار ..

وأصبح من المحتم عليه أن يؤمن ظهره في اية ثورة مقبلة إذا أراد أن يضمن لها النجاح .. منطقيا ، كان مستحيلا هذا كما رأينا .. وعمليا ، كان الأمر يبدو مستحيلا أيضا ..

ولهذا كان من الممكن إلا يقدر لنا أن نظفر بالحرية في جيلنا هذا وربما لاجيال كثيرة مقبلة إلا إذا حدثت المعجزة ...

كيف حدثت المعجزة ؟

ولم تكن طبعا فى عصر المعجزات التى تهبط من السماء فذلك العصر قد أنقضى ..

ولكن يبدو أننا فى عصر معجزات أخرى ..

معجزات تتبع من الأرض ، وتقوم بها الشعوب .. الشعوب التى إذا قررت شيئا فلا بد أن تحققه لأن مشيئتها من مشيئة الله ، وإذا قررت أن تحققه حققته ولو اقتضاها الأمر القيام بمعجزة ..
وشعبنا أيضا كانت مشيئته من مشيئة الله ..

فقد حقق المعجزة ..

والثورة التى كانت مستحيلة الوقوع حدثت ، والشعب تحرر ..

وإذا كانت كلمة معجزة لا تعجب البعض ، فدعونا نرى ما حدث

ودعونا نلقى نظرة عسأنا نقتنع ..

الوضع فى 22 يوليو

فى يوم 22 يوليو سنة 1952 كان الشعب المصرى يقف ساخطا ثائرا ممزق الوحدة ، متناحر القوى ، لا يدرى ماذا يفعل تجاه نظام هائل يكتم أنفاسه ، ملك وحكومة وأحزاب وجيش وبوليس وقوات استعمار ضخمة تؤيد كل هذا وتدعمه وتيسر له امتصاص قوى الشعب وثروته وبعثرتها على موائد القمار فى نيس ومونت كارلو وكابرى ، نظام ضخم يواجه الشعب ولا يمتص قواه فقط ، ولكنه يعمل ضده وضد مصالحه ويتعاون مع كافة القوى الاستعمارية فى العالم ويؤيدها ويسير فى فلكها ويشترك معها فى سحق مقاومة الشعوب الأخرى التى تريد الحياة وتبغى التحرر ..

كان هذا هو الوضع فى 22 يوليو سنة 1952

وفى 24 يونيو 1956

وفى يوم 24 يونيو سنة 1956 أى بعد ثلاث سنوات وعشرة أشهر
وثمانية أيام فقط كان المستحيل قد تم ..

فرأس الدولة الملكية فاروق أصبح يحيا حياة الصعاليك فى أوربا ..
وذهبت نهائيا عن مصر .. وقامت على أرضها أول جمهورية مصرية
دما ولحما لا تخضع لاحد ولا تعمل لصالح أحد غير أبنائها ..
وأصبح اقتصاد مصر يبنى من أجل مصر .. والإقطاع الفاسد
الخبيث المتغلل قد أجتث ..

ولم تعد مصر مجرد مستعمرة استقلت ، ولكنها أصبحت أيضا منارة
الحرية للبلاد العربية وشعوب الشرق الأوسط ، ومصدر ثورة عارمة
ضد الاستعمار فى المنطقة وفى العالم بأسره ..

بل أصبحت مصر ، تلك الدولة الصغيرة التى كانت بالأمس
مستعمرة من الدرجة الثالثة أصبحت أحدى القوى الرئيسية فى الصراع
من أجل أقرى الحرية والسلام فى العالم وأحدى زعيمات آسيا وأفريقيا ،
وقوة كبرى من قوى الحياد الإيجابى والتعايش السلمى ..

إلا نسمى هذه معجزة .. ؟

فلنر كيف استطاع شعبنا ن يحقق هذه المعجزة ..

كيف حقق الشعب المعجزة ؟

الحوادث معروفة فكل الدنيا تعلم كل شىء عن تنظيم الضباط
الأحرار وقيام الثورة وخلع الملك ومعاهدة الجلاء .. الخ ..

ولكن غير المعروف هو لماذا حدثت هذه الأحداث بالذات ولماذا تمت على هذه الصورة دون غيرها ، ولماذا لم تتم على صور أخرى ؟. الواقع أنها تمت على هذه الصورة لأنها كان لا يمكن إلا أن تتم على هذه الصورة دون سواها ، وذلك هو ما نعنيه بقولنا أن الطريق الذى اختطته ثورة الشعب لنفسها كان هو الطريق الوحيد الذى كان لابد أن تخطه ..

كلنا نعلم أن الملك والرجعية والاستعمار كانوا فى ناحية يكونون جبهة متماسكة متكاتفة متعاونة ، وكان شعبنا فى الناحية الأخرى .. فكيف كان ممكنا للشعب أن يهزم كل هذه القوى المتكاتفه ضده ؟ أننا حين نحاول الإجابة على هذا السؤال أننا نحاول فى الواقع أن نفسر الثورة التفسير الطبيعى البسيط الذى يربط كل ما وقع من احداث بخيط واحد هو خيط الحقيقة ، الحقيقة البسيطة التى ربما غطت عليها الأحداث بضخامتها ، وما أسهل أن تضيع الحقيقة ..

كان الاستعمار وعملاؤه يهزمون ثوراتنا المتلاحقة لأنهم كانوا يفلحون فى تفكيك قوانا وجبهتنا ..

ولكى نهزمهم كان علينا نحن الآخرون أن نفتت قواهم وجبهتهم ..

حكمة المقاومة الشعبية

كان علينا أن نفكك جبهة أعدائنا ونضربهم الواحد بعد الآخر ، إذ كان لا يمكن ضرب الاستعمار إلا بعد خلع الملك والنظام الملكى من جذوره .. وكان لا يمكن خلع الملك إلا إذا عزل عن الاستعمار من ناحية وعن أجهزة حكمه من ناحية أخرى ..

ولكى يتم عزل الملك عن أجهزة الحكم كان لابد أن يتحرك أضخم هذه الأجهزة وهو الجيش ، ضده ، وكان لابد أن يأتى اليوم الذى يوجد فيه فى قلب ذلك الجيش تنظيم كتظيم الضباط الأحرار يعمل على تحويل أكبر جهاز يحمى الملك ، إلى أكبر جهاز يوجه إليه ويقف إلى جانب الشعب مصدر القوة وصاحب السلطة العليا ..

لقد ظلت ثورتنا تبحث عن منفذ ، وتجرب وتخطىء ، وتنتكس مرة لتقوم أخرى ، حتى دفعتها الخبرة إلى أن تتسلل داخل قلعة الملك لتستولى عليها من الداخل ..

أن عوامل القوة فى أى نظام يمكن أن تكون فى وقت من الأوقات هى نفسها عوامل الضعف .. ولأن الجيش الذى يحمى الملك كان لابد أن يكون مكونا من عساكر وضباط من أبناء الشعب المصرى ، فالأمر كان لابد أن ينتهى حتما إلى أن يفطن هؤلاء الأبناء البررة إلى أنهم يستطيعون إذا ما أرادوا أن يكونوا طليعة الزحف المقدس ..

ولهذا كان من السذاجة أن ينفصل جمال عبد الناصر بالجزء الذى يقدر على اقتطاعه من الجيش ، ويحارب النظام الملكى على صورة حرب أهلية ، فقد جربنا مرة هذه الحرب وفشلت التجربة ..

وكان لابد أن تأخذ ثورة الشعب المصرى على مستعمره والمستبدين منه شكل الانقلاب ، إذ هو الشكل الحتمى للتمكن من الوصول إلى رأس الرمح وفصلها ، فقد كان أعداؤنا أقوياء وكانت جبهتهم للأسف شديدة التماسك ، وكانوا أيضا شديدي الدهاء ..

استعمال الدهاء

لذلك كان لابد من استعمال دهاء لا قبل لهم به ، دهاء لم يعهدوه ..
دهاء الشعب الذى ظل يقاوم أعداءه آلاف السنين ولم تهن مقاومته ..
دهاء الصعايدة والبحاروة .. دهاء دنشواى ودهاء صيادى السمك فى
بحيرة المنزلة ..

لفصل الرأس إذ كان لابد من استعمال طريقة لا تثير القوى
الاستعمارية ولا تمكنها من الدفاع عنها ، ولا تحرك شكوكها ومخاوفها..
كان لابد من تخدير القوى الاستعمارية سياسية وعسكرية ، وكان
لابد من عصب عينيها لكى تتفتت الجبهة ويسقط الواحد منهم فلا يشعر
به الآخر ...

وعلى هذا فليس غريبا أن يعلن بلاغ الثورة رقم (1) أن كل ما يريده
الجيش هو تطهير نفسه من المرتشين والانتهازيين ..
ولو لم يحظ هذا البلاغ بذلك التأييد الشعبى الساحق الذى قوبل به ،
والذى لم يجرؤ الاستعمار على معارضته معارضة سافرة أو باطنة
لتعقدت مهمة خلع الملك بعد ذلك ، ولربما وقفت القوات البريطانية تدافع
عن قصر لقبة وسراى عابدين ..

وعلى هذا اضطر الاستعمار أن يوافق مرغما على طرد فاروق ،
تسليما بالأمر الواقع خوفا من مواجهة الشعب الثائر ..
وليكون أيضا قد أسدى للقائمين بالانقلاب معروفا لا ينسى ، ربما
مكن له بعد ذلك أن يضعهم فى جيبه ويكون هو الكاسب ، إذ يكون قد
استبدل ملكا مكروها فاسدا يحكم من مصر من خلاله ، بحكومة قوية لها
هذا التأييد الشعبى الساحق ، يحكم مصر من خلالها أيضا ..

آفاق الاستعمار سنة 1956

ولكن الاستعمار آفاق من المخدر سنة 1956 ليجد أن القائمين بالانقلاب هم الذين كانوا يضعونه في جيوبهم ، وليجد نفسه خارج أرض مصر وليجد أن الذى أجلاه ليسوا ضباط طامعين فى الحكم ، ولكنهم طليعة زحف شعبى واسع ، وأن ما حدث فى سنة 1952 لم يكن حركة ولا انقلابا ولا استبدال أسماء بأسماء أو أردية بأردية ، ولكنه كان ثورة حقيقية قضت على وجوده وشتت أعوانه وأشياعه ..

ليس هذا فقط بل آفاق الاستعمار ليجد أن هذه الثورة ليس فى نيتها أن تكتفى بما قامت به ، ولكنها تريد أن تمضى فى رسالتها إلى النهاية وتحارب الاستعمار أن وجد من حولها وتحارب أعوانه وأحلافه ، وتصادق من يصادقها وتعادى من يعادىها ، وتضرب بأقصى شدة على يد كل من تحدثه نفسه بعودة الأوضاع القديمة إلى ما كانت عليه ..

آفاق الاستعمار أذن ليجد أن المعجزة قد تحققت وأن مصر ، الدرة الغالية فى تاجه قد فقدتها إلى الأبد برغم كل جيوشه وقوته وأنصاره وطابوره الخامس ، وتاريخه الحافل الطويل ..

ولهذا كانت غضبة الاستعمار ، حين آفاق ، غضبة كبرى ..

سؤال بسيط

ولن نتابع هنا هذه الغضبة الاستعمارية ، إنما نحن فقط سنسأل أنفسنا

سؤالا بسيطا ، ومن المهم جدا أن نجيب عليه ..

السؤال هو :

هل كان ممكنا للثورة لكى تحقق لمصر حريتها أن تسلك طريقا غير

الذى سلكته؟؟

دعونا نرى .. فالتاريخ لا يزال قريبا ، والأحداث لا تزال مرتسمة

فى أذهان كل منا ، ولا زلنا لم ننس بعد ..

خلع الجيش من قبضة الملك

كان الضباط الأحرار بقيادة جمال عبد الناصر قد حددوا هدفهم كضباط أحرار في جيش كانت مهمته الأساسية هي الدفاع عن النظام الملكى ، وكان ذلك الهدف هو خلع الجيش من قبضة الملك ، أى انتزاع الخنجر الذى كان يهدد به القوى الشعبية من يده وتركه أعزل من سلاحه أمام الشعب وأحزابه ورجال السياسة فى ذلك الحين ..

كنا نفكر حين ذاك كما يفكر كل وطنى مخلص شريف فى مجاله ، فالطلبة فى مجالهم كانوا يفكرون فى القيام بإذكاء حماسة الجماهير بالمظاهرات والاضطرابات ..

ونقابات العمال كانت تفكر فى تنسيق جهودها مع جهود بقية الطبقات .. ونحن فى مجالنا كضباط عاملين فى الجيش كان تفكيرنا منصبا على إعادة هذا الجهاز إلى الشعب بدلا من أن يكون موجها ضد الشعب ، فيزحف الشعب ، وينقض ، ويثور ...

وحدث هذا فعلا ، بل زيادة فى الاطمئنان لم تكتمف فقط بنزع الجيش من يد الملك ، ولكننا نزعنا الملك من أرض الوطن ..
وجلسنا نرقب ما يحدث ..

فلسفة الثورة والأحزاب

والذى حدث معروف وقد ذكره الرئيس جمال بتفاصيله فى كتابه "فلسفة الثورة" ، فقد تجمع علينا رجال الأحزاب القديمة كالذباب لاعتقادهم أن الضباط الأحرار قد اصبحوا مصدر السلطة أو بمعنى أدق ، المصدر ، المصدر الذى يوزع كراسى الحكم ، وكان جمال عبد

الناصر قد خلع الملك ليجلس على كرسيه ، وتبقى السيطرة الملكية الاستعمارية كما هي ..

من هذا التجمع والتزلف تعلمنا حقيقة مرة ، أن هذه الأحزاب لم تعد تصلح إلا لتبادل الحكم ومكاسبه فى ظل الأوضاع الاستعمارية ، وأنها لا يمكن أبدا أن تصلح لقيادة شعب كشعبنا فى ثورة ضد الاستعمار ..

كنا نحس بقلوب الملايين من أفراد الشعب تتبض بالسخط على الاستعمار وتغلى بالثورة وتنتظر الإشارة ، وكان رجال الأحزاب لا يفكرون إلا فى التنافس على كراسى الحكومة وبدل التشريفات ...

بالاختصار كان الشعب مهينا للثورة ومستعدا لخوضها وبدل التضحيات لى يصل إلى حريته واستقلاله ولكن القيادة كانت تنقصه ..

والغليان الشعبى لا يكفى أبدا لثورة على الاستعمار ..

شروط نجاح الثورة

فلكى تقوم الثورة وتتجح لأبد من جهاز ثورى يتولى تنظيمها وتضيقها ووضع خطتها وقيادتها ..

ولم يكن شعبنا فى ذلك الوقت يملك تنظيميا كهذا ..

فماذا — أذن — كان فى استطاعتنا أن نفعل ؟

هل نترك بقايا النظام الملكى كما هو بوزارته وأحزابه وبرلماناته وتفككه وكل ما فيه من فساد وخيانات وبشاعات يتحكم فى رقاب الشعب المصرى ويحتجز ثورته ويؤخر تحرره وكان المشكلة كانت هى شخص الملك ، هى فاروق ؟

أو بمعنى آخر ، هاهو رأس النظام قد خلع ، ولكن النظام نفسه باق بكل عقليته الرجعية المستبدة الإقطاعية المتعفنة ..

الملك خلع ولكن مصر لا تزال مستعمرة ، والقوات البريطانية لا تزال تحتل أرضها وتدنس كيائها ، فهل نترك هذا كله ونترك الشعب لرجال الأحزاب ليقوده فى نفس الاتجاه الذى كان سائدا أيام الملك ، ويعود الجيش — كما تفضلوا ونصحوا — إلى مكانته؟؟

كان لا يمكن أن يحدث شىء من هذا ...

إلا تكون حينئذ قد خنا نفس القضية التى ثرنا من أجلها ؟

وبذل مجلس قيادة الثورة محاولة أخيرة وطلب من الأحزاب أن تظهر نفسها بنفسها ، كنا نعتقد أنها القيادة الطبيعية لشعبنا وأنها ، وأن كانت قد ضعفت وتحللت ، إلا أن من الممكن تطهيرها واصلاحها كى تقود الشعب قيادة ثورية ..

ولكن ما حدث خيب ظننا وأفقدنا الأمل نهائيا فيها ، لقد قام كل حزب بفصل هذا العضو من أعضائه أو ذاك لكى يثبت لصاحب الجلالة الجديدة ، (مجلس قيادة الثورة) ، أنه نفذ توجيهه (جلالته) بكل خضوع وولاء ، ولم يبق إلا أن يتفضل ويولى رعاياه المخلصين ثقته ويعهد إليهم بالحكم ..

وياليت فصل الأعضاء كان فصلا حقيقيا ، كان فى الواقع فصلا سوريا فقط لاثبات الخضوع والولاء ظنا منهم أن ذلك سيتيح لبقية الأعضاء الجلوس على مقاعد الحكم ، ويمكن بعد ذلك مجازاة العضو أو الأعضاء المفصولين على تضحيتهم الكبرى خير الجزاء ..

المهم فقط و الوصول إلى الحكم ..

كانت عملية ، والحق يقال ، مثل العملية التى يلجأ إليها بعض أصحاب البيوت حين يطلون عشش الدجاج بالجير والفرشاة أملا منهم فى اجتذاب الباحثين عن السكن .

محاولة الأحزاب الخديعة

ولكن الأحزاب لم تستطع خداعنا أو خداع الشعب بهذا الطلاء الظاهري المصنوع ، لم تستطع أبدا أن تجعل من عشش الدجاج مكانا يصلح لأن يقطن فيه الآدميون ..

لقد حز في نفوسنا أن حزبا منها لم يغير من تركيبه وتنظيمه وبرنامج تغيير جذريا يصلح لقيادة الشعب في بلد تحرر من الملك وفي طريقه للتحرر من الاستعمار ..

وكان واضحا وضوحا لا شك فيه أنها — مثلها مثل الملك — أن كانت قد صلحت لحكم مصر المستعمرة الخاضعة للملك ودستوره ، فأنها لا تصلح أبدا لقيادة مصر النائرة ، مصر العازمة على طرد الاستعمار وتحرير كل شبر من أراضيها .

كانت جريمة كبرى أن نترك الشعب يواجه هذه المحنة ، محنة أن يحكم من جديد بأحزاب تطلّى وجهها لكل صاحب سلطة باللون الذي يهواه ..

محنة أن نخلع الملك ونترك الشعب يواجه أوضاعا أسوأ وأقسى مما كانت أيام الملك ..

محنة أن تكون ثورة الشعب الكبرى التي رصد لها أعمار أجياله المتلاحقة ، قاب قوسين أو أدنى من التحقيق ، ثم تفشل كسابقتها وتنتكس لأننا فقط سمحنا لأنفسنا أن نتراجع ، وسمحنا لأنفسنا أ، نقف فقط عند حدود مهمتنا كضباط أحرار في الجيش .

الوضع بعد 23 يوليو

وإصبح الوضع هكذا :

بلدنا مستعمر والقوات البريطانية لا تزال تحتله ..
بلدنا مستغل واقتصاده كله فى أيد أجنبية ..
شعبنا تائر بلا قيادة ..
والأحزاب الموجودة لا تصلح لقيادته فى معركة تحرره السياسى
والاقتصادى والعسكرى ..
فماذا كان يمكن أن يحدث ؟
ما من شك أنه كان يود كل منا أن تكون مهمتنا قد انتهت بسلام عند
حدها ، وأن نسلم الزمام إلى من فى استطاعته إنجاز مهام الثورة الشعبية
الباقية ولكن لم يكن أحد يستطيع أن يتسلم الزمام ..
وجزاء واحد فقط من المهمة هو الذى كان قد أنجز وهو خلع الملك ..
وبقى كل شىء فى الدار على قذارته القديمة ..

البحث عن قيادة

فى تلك الفترة تلفت شعبنا حوله باحثا عن قائد لثورته القادمة على
الاستعمار والأوضاع البالية فلم يجد من يوليه ثقته إلا نفس من خلعوا له
الملك ، وكانوا طليعة الثائرين عليه الأشخاص الذين وأن لم تكن للشعب
بهم معرفة من قبل ولم يتعد تاريخهم العلنى بضعة شهور ، إلا أن شعبنا
قد رأى بغريزته وبصيرته أنهم قادة ثورته المقبلة على الاستعمار وأنهم
أثبتوا فى تلك المدة القصيرة جدارتهم وأحقيتهم بالثقة .. وفى نفس الوقت
تلفتنا نحن الذين دبرنا الانقلاب كمقدمة للثورة وخلعنا الملك لنبحث عن
القيادة الشعبية التى يمكن أن تتسلم زمام الأمور وتمضى على رأس
الزحف الشعبى فلم نجد سوى أنفسنا ..

وهكذا حكم التاريخ ، وحكمت أوضاعنا وظروفنا ، وحكمت ثورتنا
والتقت إرادة الشعب بإرادة القيادة الجديدة ..

www.anwarsadat.org

معنى الثورة

على هذا تولى مجلس قيادة الثورة الحكم .
وكان لابد أن يحكم بطريقة مختلفة تماما عن حكومات العهد الغابر ،
كان لابد أن تتسم إجراءاته بطابع ثورى كامل ، لم تعهده حياتنا السياسية
من قبل حتى بدا للبعض ممن كانوا لا يزالون ينظرون إلى حكومة الثورة
بنفس العين التي كانوا ينظرون بها إلى ما سبقها من حكومات ، أن الأمر
غريب وشاذ ..

ولكن مجلس قيادة الثورة لم يكن مجرد حكومة أخرى .. كان مجلس
قيادة ثورة .. وكان لابد أن تهدف إجراءاته إلى تنفيذ مهام الثورة الباقية
ولهذا كانت إجراءاته حاسمة ..

وكان لا يمكن أن يقوم بتلك الإجراءات الحاسمة إلا مجلس ثورة ..
كان لابد من هدم بقايا النظام الملكى فى الحال وضرب القوى الرجعية
وتكتيل الشعب ليقوم بالمهمة التي كان قد نضج للقيام بها ، وعلى هذا
أعلنت الجمهورية وألغى دستور 23 وحلت الأحزاب ملكية وأنشئت
محاكم العدل والثورة وصدر قانون الإصلاح الزراعى وحددت الملكية
وحسمت التحركات الجانبية للإقطاع والأخوان والرجعية ..

وفى النهاية قال جمال عبد الناصر لبريطانيا : عليك أن تحملى
عصاك على كاهلك وترحلى ، وإلا أرغمنك على الرحيل ..

مرحلة الانتقال

كانت الإجراءات الأولى تمهيد للمعركة التاريخية بيننا وبين عدونا الحقيقي اللدود وهو الاستعمار ، وكان لا يمكن أن تبدأ الثورة المعركة ما لم يطمئن الشعب وقيادته إلى أن ظهره فى حمى وأمان ، وأن المأساة التى عانى منها شعبنا فى كفاحه طويلا لن تتكرر ..
والرئيس جمال عبد الناصر قد سمي مرحلة الثورة هذه مرحلة الانتقال ..

مرحلة الانتقال معناها مرحلة التغيير .. المرحلة التى يتحول فيها الشىء إلى شىء آخر ، المرحلة التى يتحول فيها الليل إلى نهار ، والماء إلى بخار ، والعليل إلى سليم ، ومصر المستعمرة المستغلة إلى مصر المتحررة المستقلة ..

هى أذن مرحلة الحركة السريعة ..

أن الشعب فى تطوره يظل سادرا فى حركته العادية يتحمل الظلم والعسف عاما وراء عام وهو يكظم ويصبر ، وفجأة ، وحين تبلغ طاقته على التحمل حدها الأقصى ، يتحرك بعنف وبسرعة ويضرب ويثور ..
حركته الأولى العادية لها قوانين ونظام ودستور ..

وحركته المفاجئة السريعة لابد أن يكون لها هى الأخرى قوانينها ونظمها ودستورها ، ولكن الذى لا شك فيه أنها تختلف تمام الاختلاف عن القوانين والنظام والداستير التى كانت تتحكم فى حركة الشعب العادية ..

أن ما يصلح فى زمن السلم لا يصلح فى زمن الحرب ، وما يصلح فى وقت الكبت لا يصلح أبدا ساعة الثورة ..

الإنسان حين يكبت يصبر ولكنه حين يثور ينفعل ويضرب ، وقانون الصبر غير قانون الضرب ..

وفى زمن السلم قد تقول لرئيسك لا فيلفت نظرك فقط ولكن فى زمن الحرب قد تقول لا فيطلق عليك الرصاص فى الحال ..
المشكلة أذن أن ثورة الشعب ومعركة تحرره الكبرى التى انتظرناها طويلا كانت قد بدأت ..

جمال أصلح قائد للمعركة

ولم يجد الشعب أصلح من جمال عبد الناصر ومجلس قيادة الثورة ليقود المعركة ..

ولم يجد جمال عبد الناصر ومجلس قيادة الثورة قيادة تتولى أم المعركة اصلح منه ..

الشعب أذن أرتضى القيادة ، والقيادة ارتضت المهمة ، ولم يبق إلا خوض المعركة ..

ونحن نستعمل كلمة المعركة كثيرا ، ولكننا أحيانا قد نغفل حقيقة هذه الكلمة .. فسواء أكانت المعركة استقلال أو معركة دفاع عن النفس فإن معناه بكل بساطة التضحية ..

معركة الاستقلال هى أولا وأخيرا معركة تضحية ومعنى أن ثورة شعب ما قد نضجت ، هى أنه أصبح على استعداد لخوض المعركة ، أى على استعداد للتضحية بماله أحيانا وبنفسه إذا اقتضى الأمر ..

والتضحية ليست قبولا ولكنها بذل .. كل فرد من الأفراد يبذل من ذات نفسه فيحرر الشعب .. كل فرد يتنازل باختياره عن بعض متعه وبعض حقوقه وبعض نفسه ليتناول فى النهاية كل متعه وكل حقوقه وكل

نفسه ... وما من ثورة قامت ، وما من معركة نشبت إلا وحدث هذا..كانت فترة الانتقال .. فترة المعركة ، هي فترة التضحيات ..
فكما يتطلب استمرار الغليان مزيدا من الحرارة ، فأن استمرار القتال يتطلب مزيدا من الشهداء ، والحرارة تستمد من الوقود ، والطاقة تستمد من بذل المقاتل فالمعركة أئن تستمد وجودها من بذل التضحيات .. كان لا يمكن أن نتحرر إلا اذا ضحينا ، وقد ضحينا ، شعبا وقيادة وأفرادا وعائلات ..

تلك هي قوائين فترة الانتقال ، وقوائين الثورة فى كل مكان وتحت كل قيادة وفى أى شعب وفى كل عصر وزمان ..

ولو كان قائد هذه الثورة شخصا آخر غير جمال عبد الناصر ولو كان مجلس قيادة الثورة مكونا من مدنيين أو حتى سياسيين سابقين ، أو حتى من أعضاء مجلس إدارة حزب من الأحزاب ، لما حدث غير ما حدث ، ولتطلبت الثورة نفس البذل ، ونفس التضحية ونفس التنازلات عن بعض الحق لكسب الحق كله ..

والإجراءات التى أتخذها مجلس قيادة الثورة والتى كان الهدف منها أن نضحى بالقليل لنظفر بالكثير ، كانت ضرورة حتمية من ضرورات ثورتنا ، ولسنا فى مجال تعداد التضحيات التى قدمها شعبنا ليظفر باستقلاله والتى صاحبت فترة الانتقال ، ولكننا سوف نناقش كلمة يستعملها الناس كثيرا ويأخذونها على أنها خطيئة من خطايا فترة الانتقال

" كلمة الديمقراطية " ..

معنى كلمة الديمقراطية

قالوا أن مجلس قيادة الثورة قد ألغى الديمقراطية

وكان يحكم حكما ديكتاتوريا استبداديا ..

أما أن مجلس قيادة الثورة الغى الديمقراطية فهذا صحيح بل ونحن نفخر بصحته .

أجل .. لقد ألغينا الديمقراطية الزائفة ، الديمقراطية التي ضحكوا بها علينا ، والتي كانت تمنكهم من أن يستعمروا بلادنا ويستغلوها بطريقة شرعية لا غبار عليها ، تحت أسم الحرية وباسم الشعب والدستور ، وبأسم المثل الديمقراطية العليا ..

كانوا يقولون أن مصر أيام ملك كانت تحكم حكما ديمقراطيا أى أن الشعب فيها كان يختار حكومته بنفسه ، وكان يحكم نفسه بنفسه .. وكان واضحا لكل ذى عينين أن تلك فرية كبرى .. فكيف كان يستطيع أن يحكم نفسه بنفسه والاستعمار يحتل أرضه ، وله فى الوطن السلطة العليا ..

وكيف يمكن أن تسود الديمقراطية فى بلد تحتله قوات أجنبية؟؟ م تكن هناك ديمقراطية ، كان هناك ثوبا ديمقراطيا مهلهلا يرتديه النظام الملكى ليخدع ويضلل ويخفى حقيقته وعورته البشعة عن العيان . وكل ما فعله مجلس قيادة الثورة هو أن مرق هذا الثوب والقى الديمقراطية بمعناها الملكى الاستعمارى ..

الحرية الزائفة والحرية الحقيقية

ألغى الحرية الزائفة فى بلد مستعبد ..

ألغى الحرية التي كان يتمتع بها الاستعمار والملك وقفا على أعوانهما ، الحرية التي ذاق منها الشعب الأمرين والتي استعملوها اختلافنا تماما

مثما ألغى الدستور الذى كانوا يستعملونه للتحكم فى رقابنا .. ولم يفعل
مجلس قيادة الثورة هذا إلا لكى تسود الحرية الحقيقية حرية الشعب
وأفراده .. فكل ميزة كان يتمتع بها الاستعمار والملكية كان من المحتم
انتزاعها من أيديهم ومنحها لأصحاب البلاد الحقيقيين ..
والحرية كانت حرية الملك وأعوانه واتباعه وأسياده فكان لابد
انتزاعها لتصبح حرية الشعب ..
أن شعبا — أى شعب — لا يمكن أن يكون حرا ووطنه مستعمر
ومحتل ، فلا حرية فى ظل الاستعمار ..
ولهذا كان لابد من كسر القيد الذى يخنق حريتنا جميعا لكى يزاول
كل منا حريته كفرد ..
وببساطة كان لابد أن يتخلص الشعب من الغرباء الذين يحكمونه لكى
يحكم الشعب نفسه بنفسه ولكى تسود الديمقراطية الحقيقية ..
تلك هى فلسفة مرحلة الانتقال ، تلك الفترة التى تمزق فيها
الديمقراطية الزائفة لنستمتع بالديمقراطية الحقة ..

المعالم الرئيسية لثورتنا

قلنا أن الضرورة لتاريخية حتمت أن تقوم الثورة المصرية على
الاستعمار بالطريقة التى قامت بها ، وتلك الضرورة التاريخية نفسها هى
التي حتمت أن تتخذ الثورة كل ما اتخذته من إجراءات .. وبمعنى أوضح
، أن الإجراءات التى اتخذها مجلس قيادة الثورة فى مرحلة الانتقال ،
بصوابها وخطئها ، وصلاحياتها وعدم صلاحيتها هى جزء لا يتجزأ من

ثورتنا وهى ء لا يتجزأ من انتصارنا فى ثورتنا حين انتصرنا ، إذ هى نفسها الإجراءات التى أدت إلى انتصار الثورة ..
الانتصار أذن تم بناء على هذه الإجراءات ، أى أننا انتصرنا لأننا سرنا فى هذا الطريق ، وكان ممكناً إلا ننتصر لو سرنا فى سواه ، فالطريق الذى سارت فيه الثورة المصرية أذن هو فى حد ذاته انتصار لأنه الطريق الذى أدى إلى الانتصار .

وما دمنا قد انتصرنا ، وما دمنا قد قطعنا مرحلة ضخمة من مراحل هذا الطريق فنحن فى موقف يسمح لنا أن نلقى نظرة خاطفة على المرحلة التاريخية التى قطعناها لنلخص المعالم الرئيسية لثورتنا على الاستعمار . الثورة كما حدثت حقيقية ، وكما انتصرت ، لا كما كان يجب أن تحدث .. الثورة الواقعية وليست الثورة الخيالية التى كان يحلم بها البعض ..

نلخص هذه المعالم الرئيسية ونقول :

- 1 – الشعب المصرى فى ثوراته السابقة كان قد تعلم نه لن ينجح فى طرد الاستعمار إلا إذا أطاح بالجهاز الملكى الذى يفرض جوده فى الداخل .
- 2 – للإطاحة بهذا الجهاز الملكى كان لابد من سلوك طريق غير مباشر للوصول إلى هذا الهدف وهو أن يقوم داخل الجيش الجهاز الرئيس الذى يحمى الملك ، تنظيم يقبل الجيش ضد الملك ليتيح للشعب الاشتباك السافر مع أعدائه .
- 3 – حين تحطم النظام الذى كان يحمى الاستعمار فى الداخل لم يكن هناك حزب أو هيئة فى إمكانها قيادة الشعب فى معركته ضد الاستعمار فحتم الوضع أن تكون قيادة الانقلاب الذى حدث ضد الملك هى نفسها قيادة الثورة الشعبية .

4 – وأيضاً لم يكن هناك ثمة حزب أو هيئة فى إمكانها القيام بالحكم أثناء المعركة ضد الاستعمار فحتم الوضع أن تكون قيادة الانقلاب هى قيادة الثورة ، هى الحكومة .

5 – وعلامة رئيسية أخرى من علامات ثورتنا أنها تمت بواسطة حكومة قامت فى بلد مستعمر وقادت الشعب ضد الاستعمار لأول مرة فى التاريخ .

6 – وعلامة رئيسية أخرى لهذه الثورة أن تنظيمها كان على النحو الآتى : حكومة الثورة تقود الجماهير الشعبية الواسعة بلا أى تنظيم حزبى قائم ليصل بين قيادة الثورة وقاعدتها .

علامة جد خطيرة

وعند هذه العلامة الأخيرة لابد من أن نتوقف ، فهى وأن بدت بسيطة سهلة الإدراك والهضم ، إلا أنها جد خطيرة فى الوقت نفسه . . . فالتاريخ يعلمنا أن الثورة ضد الاستعمار أو ضد أى نظام تحدث باستمرار بقيادة حزب أو عدة أحزاب سياسية متكاتفة . . .

لما فى مصر فلم يحدث هذا ، كان هناك مجلس قيادة الثورة الذى يقود ويحكم ، وكانت هناك الجماهير الشعبية الواسعة ، ولم يكن هناك تنظيم حزبى قائم يصل بين قيادة الثورة وقاعدتها ، وتلك هى الأخرى معجزة ، فأول مرة فى تاريخ أى بلد من بلاد العالم يحدث شىء كهذا . وليس معنى أننا نقول أن هذا يحدث لأول مرة أنه غير ممكن الحدوث ، لسبب بسيط هو أنه حدث فعلاً !..!

ومن اجل هذا قلنا فى البدء أن الطريق الذى يسلكه كل شعب لنيل
حريته يكاد يختلف تماما عن الطريق الذى يسلكه غيره من الشعوب ..
لكل بلد ظروفه وأوضاعه ، والثورة تحدث طبقا لهذه الأوضاع
وتلك الظروف والطريقة التى تحدث بها الثورة تصبح جزءا لا يتجزأ من
تراث الشعب .

وأصلح طريق لتحقيق الحرية هو دائما الطريق الذى يحقق هذه
الحرية فعلا وقد حققت تلك الطريقة ثورة الشعب المصرى على
الاستعمار ، وحققت له الاستقلال والتحرر ، ولهذا فهو طريق حريتنا ،
الطريق الذى نفخر أننا سلكناه ، ولا بد أن نفجر أننا نجحنا فى سلوكه
وأننا بلغنا به الهدف ..

ماذا فى هذا !!؟

ثورتنا قام بها ضباط ، وماذا فى هذا ؟! المهم أنها قامت : ثورتنا
ألغت دستور 23 فى فترة الانتقال وألغت الأحزاب وحددت الملكية
وخذعت الاستعمار وماذا فى هذا أيضا ؟! المهم أنها من خلال هذا
الطريق قد انتصرت .

ثورتنا قست على البعض منا واعتقلت البعض وسجنت البعض
وماذا فى هذا أيضا ؟ المهم أنها حررت أرضنا من القوات البريطانية
وحررت اقتصادنا من الأصابع الأجنبية الخائفة ، وحررت شعبنا من ذل
الملاك .. المهم أنها صمدت فى معركة العدوان ، ودافعت عن السلام
وأوجدت لبلدنا كيانها ، وأوجدتنا ..

أجل بطريقتنا هذه بنجاحنا بصبرنا ، بأخطائنا ، بدهائنا وببساطتنا ،
بمكرنا وسذاجتنا ، بمكاسبنا وبتضحياتنا ، بعرقنا ودموعنا ، بساعات
ضيقنا ولحظات انتصارنا ، بأزماتنا الاقتصادية الصغيرة التي أصابتنا
وبإشراق الصباح على بلدنا المستقلة ، بهذا كله ، وبكل هذا انتصرنا
ونجحت ثورتنا : نجحت وأصبحنا حقيقة وصدقا ودولة ، وأصبحنا
جمهورية وأصبحت أرضنا ملكنا ، واقتصادنا فى أيدينا ، وقالنا لنا ،
وجيشنا يحمينا ، وأخوتنا فى حبات عيوننا ، وعروبتنا حقيقية ، وحيادنا
الإيجابى مفعرة ، ووجودنا حقيقة ملموسة هى حديث العالم أجمع :
تحررنا كان معجزة ولكنه حدث : إلا يحق لنا أن نفخر حتى بعيوب
الطريقة التى تمت بها المعجزة ؟ ! نفخر بها لأنها طريقتنا من بنات
أفكارنا ..

23 يوليو 52 – 23 يوليو 56

أن الطريق إلى الحرية يدرس فى المدارس ولا توجد هناك جامعة
يتخرج فيها قادة الاستقلال ، فنحن من المعركة تعلمنا ، ومن أخطائنا
تعلمنا ومن نجاحنا تعلمنا ومن غيرنا تعلمنا ، ومن عدونا تعلمنا ومن
أصدقائنا تعلمنا ، ولنضع قوسين أحدهما يوم 23 يوليو 1952 والآخر
يوم 23 يوليو 1956 ونقول تلك الفترة بكل ما فيها وبكل أحداثها ودقائقها
وتفاصيلها ، هى الطريق الذى أخذته الثورة فى معركتها الفاصلة مع
القوى الاستعمارية ولنقل أيضا أنه أروع طريق لأنه أوصلنا إلى النجاح
إذ أن نجاحنا دليل فى حد ذاته على أننا سلكنا الطريق الوحيد الناجح :
ونجاحنا أيضا دليل على أن قيادة هذه الثورة كانت أصلح قيادة ، وتكتيكها
كان أصلح تكتيك : وليست هناك طريقة مثالية أكاديمية ، فالطريقة

المثالية هي فقط الطريق التي تتجح ، والقيادة المثالية هي فقط القيادة التي تكسب النصر : ولهذا نعود ونقول أن الوضع الذي كان أى قيادة ثورية وقاعدة شعبية أى تنظيم حزبي يربط بينهما كان أحد العلامات المميزة لثورتنا .. لم يكن ونحن إذ كنا قد توقفنا كثيرا عند هذا الوضع ، فلأن لوقفنا معنى وسببا ، فذلك الو ، وأن يكن قد صلح ايام فترة الانتقال ، إلا أنه لم يعد يصلح بعدها ، إذ لا بد من تغييره ، لكى تضاف إلى علامات ثورتنا علامة جديدة ، وخاصة أخرى من خصائصها ، تستطيع أن توصل بها الطريق إلى الحرية الكاملة فى عالم اليوم ..

عيبا ، ولكنه كان خاصية من خواص هذه الثورة لربما لم تكن تتم إلا بهذه الطريقة .

ولكى نزيد الأمر وضوحا نقول أنه فى 23 يوليو 1956 كانت مصر قد تخلصت من الملكية والاستعمار بكافة ألوانه ورسمت لنفسها سياسة من المجال الدولى تتبع من صميم مصالحها : كانت هذه هى حقيقة ثابتة ، ولكن ثمة وضع ثان كان يشكل الوجه الآخر للحقيقة : ذلك الاستعمار كان يحيط بجمهوريتنا إحاطة تكاد تكون تامة ، والمؤامرات على استقلالنا وحريرتنا قائمة على قدم وساق ، والاستعداد للتدخل المسلح موجود فى كل لحظة وإسرائيل عدة الاستعمار فى وطننا العربى تنتظر الإشارة والخطر يحرق باستقلالنا الوليد من كل جانب ..

بمعنى آخر كانت فترة الحركة الحاسمة السريعة قد انتهت ولكن الخطر على الاستقلال وعلى مصالح الشعب لم ينته ..

فماذا كان كن أن يحدث ؟ : هل كان ممكنا أن يستمر الوضع كما هو عليه ؟ : أى تستمر حكومة الثورة بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر تقود الشعب فى معركة تأمين استقلاله وحريرته ، كما حدث فى خلال

السنوات الثلاث التي كونت مرحلة الانتقال ، بلا أى تنظيم سياسى شعبى
! ؟

طبعاً كان من المستحيل أن يبقى الوضع كما كان .. لا لأنه لا
يعجب هذا أو ذاك ، كن لأنه خطر على استقلالنا وحریتنا : وإذا كانت
المسافة بين حكومة الثورة و جماهير الشعب قد ملأتها الثقة المطلقة طوال
الأعوام التي مضت فالثقة لا يمكن أبداً أن تبقى معلقة فى الهواء ولا بد
من تنظيم تلك الثقة وتجسيدها لكي تظل دائماً قوة فعالة مستمرة .

بقاء الوضع الانتقالي خطر

بقاء وضع كهذا يعد خطراً على كل ما أحرزناه من مكاسب ،
وخطراً على كل ما قد نحرزه ، وإذا كانت الظروف قد فرضت هذا
الوضع فرضاً مع ما فيه من مجازفة ، فببق المجازفة وأمعان فى جعل
نجاحنا كله معلق بالصدف والظروف وحدها ..

ثم أن الوضع لا يجب أن ينسينا أصل القضية ، فأذا كان جمال
عبدالناصر قد قام بكل ما قام ويقوم به ، فهو أئد الثورة ، والثورة ليست
أبداً ثورة القائد فقط ، أنها أساساً ثورة الشعب : القضية قضية الشعب ..
وجمال قاد ثورة الشعب ضد أعدائه انتصر والخطر الذى يهدد الانتصار
يهدد الشعب أساساً ويهدد مصالحه : والشعب حقيقة يثق فى قائده وبايعه
كثير من مرة بثقته الكاملة التامة : ولكن : هل يصبح دور الشعب مجرد
منح الثقة ، أو حبسها ؟ : هل الشعب الذى غليت مراله بالثورة حتى
اطاحت بعرش ملك وبقوات استعمار وانتصر على عدوان ثلاث دول
ممكن أن يظل واقفاً بعد النصر موقف المنقرج ؟

لا يمكن أن يستمر الحال

لا يمكن طبعاً أن يستمر الحال كما كان في فترة الانتقال ، لا لأنها فترة الحركة السريعة فقط ولكن لأنها الفترة التي كان يتولى جمال ومجلس قيادة الثورة فيها زمام المعركة باسم الشعب ، فقد كانت حكومة الثورة تتحرك ومن ورائها الشعب يحميها ، يدخل المعركة حين ترى القيادة دخوله ، ويتقدم ويتأخر تبعاً للتكتيك الذي كانت تمليه خطوات القيادة : كانت طاقة الشعب على الكفاح والنضال والخلق والابتكار والتضحية والفداء قد وضعت أمانة في يد جمال عبد الناصر لكي يستخدم طاقتها الهائلة في سحق أعداء الشعب ولكي يتحكم في قوتها الخارقة ويوجهها كلها إلى المهمة المناسبة في الوقت المناسب وقد انتهت فترة الانتقال .. انتهت الفترة لتي أمسك فيها قائد الثورة بزمام الأمور كلها في يديه الحازمتين ، وكان لابد أن يعود زمام الأمور أذن إلى أصحاب القضية إلى الشعب : على أي صورة يعود زمام الأمور إلى الشعب ؟ !!

مستحيل عودة الأحزاب

هل يعود في هيئة نفس الأحزاب التي كانت قائمة أيام الملك ؟ !
الجواب بدهة مستحيل : فالأحزاب كما قلنا كانت جزءاً لا يتجزأ من الجهاز الملكي ، وكانت قد بلغت من الضعف والتهافت والتعفن حداً لم تعد تصلح معه لقيادة الشعب في معركته لاسقاط الملكية وطرده الاستعمار ، فهل يعقل أن تصلح نفس هذه الأحزاب بعد اسقاط الملكية وطرده الاستعمار لقيادة الشعب في معركته الرهيبة من أجل تأمين الاستقلال والقومية العربية التعايش السلمى والحياد الإيجابى ؟

مضح أن شيئاً كهذا لا يمكن أن يكون ، لأنه ليس مستحيل التحقيق فقط ، ولكن لأنه أيضا ضد قوانين الحياة والتطور .

أن الثوب الذى كنا نرتديه فى المدارس الابتدائية لا يصلح أبداً لكى ترتديه حين تكبر وتدخّل مدرسة الثانوية : لقد كبرنا وتضخّنا وكبرت مفهوماتنا ، ومعاركنا ، ومعالم وجودنا ..

وبالله هل ممكن نصدق العقل أن حزب الأحرار الدستوريين أو حزب الوفد ممكن أن يقودنا فى معركة الحياد الإيجابى مثلاً ؟ !
أو هل ممكنا أن نخوض معركة القومية العربية ونحن تحت قيادة الحزب السعدى مثلاً ؟ !!!

أننا اليوم نحيا فى ظل أوضاع جديدة ليست مختلفة فى الكم فقط عن أوضاعنا السابقة ، ولكنها مختلفة أيضا فى الكيف ..

شعبنا اليوم غيره بالأمس ، حتى السرعة التى يتحرك بها ، حتى حكمه ونكته وفنه وأدبه ، كل هذا قد تغير وتطور واصبح ما حدث فينا ولنا من تغييرات حقيقية واقعة ضخمة لا تقبل شكاً ولا نقضاً .

وإذا نظرنا اليوم إلى الأحزاب التى كانت قائمة أيام الملك لوجدنا أن خير مكان لها هو كتب التاريخ وذاكرة أصحابها ورؤسائها ..

أن التاريخ لا يعود إلى الخلف أبداً ، والأمس فات وأنتهى ، ومرة أخرى نقول أن الأمس فات وأنتهى : والملك فاروق الآن يحيا حياة الصعاليك فى إيطاليا ، وبريطانيا مستعمرتنا اللدودة قد أصبحت فى خبر كان ، والقومية العربية تنمو وتزدهر ، والعدوان فشل ، ومشروع أيزنهاور فشل وحلف بغداد يحتضر .

الأمس فات ، ونحن الآن فى يوم جديد ، له شمس جديدة
ومسئوليته الجديدة ، وما كالحا بالأمس لا يمكن أن يصلح اليوم ، وخير
مكان له هو الأمس ، خير مكان لكل ما حدث فى الماضى هو الماضى .
وإذا عشنا الحاضر بعقلية الماضى فمعنى هذا أننا لا نستحق أن
نعيش الحاضر ومعنى هذا أننا مفلسون ..

ونحن لسنا مفلسين : نحن أغنياء جدا أغنى من الحاضر ن أغنى
من يومنا هذا ، لأننا نحن الشعب ، نحن الثورة ، نحن العرب نحن الذين
عملنا لهذا اليوم ن وأوجدناه وفرضناه فرضا ، أفلا نستطيع بعد هذا أن
نعيشه ؟ !

مسئوليات اليوم أذن لم تعد تصلح لأحزاب الأمس وأحزاب الأمس
لم تعد تصلح لمسئوليات اليوم .
ومسئوليات اليوم لا يمكن أن تبقى موضوعة إلى الأبد فى ايدى
قائد الثورة وحده : لا بد أن يشترك أصحاب القضية فى تحمل المسؤولية
عن طريق ممثليهم : مسئوليات اليوم تسلم إلى شعب اليوم .

الاتحاد القومى وسيلة لشعب لمزاولة مسئولياته

على أية صورة يتم هذا ، وعلى اية صورة يقوم شعبنا مسئوليته؟
لقد نص دستورنا فى المادة 192 على ما يلى : يكون المواطنون
اتحادا قوميا للعمل على تحقيق الأهداف التى قامت من أجلها الثورة ،

ولحث الجهود لبناء الأمة بناء سليما ، من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية : ويتولى لاتحاد القومى الترشيح لعضوية مجلس الأمة : وتبين طريقة تكوين هذا الاتحاد بقرار من رئيس الجمهورية ..

الدستور أذن قد حدد الطريقة التى يزاول بها شعبنا مسئوليته : ذلك الدستور الذى اقترحتة حكومة الثورة ليه الشعب بالإجماع ، والثورة لم تقترح هذه الطريقة عبثا ولم تحاول أن تفرض هذا الشكل فرضا ، لقد اقترحتة لثورة لسبب بسيط هو أنه الطريق الوحيد لكى يزاول الشعب مسئوليته تلك ..

ولنحاول أن نجد طريقا آخر أن استطعنا : ولنناقش ما يمكن أن يخطر .

معنى تأليف الأحزاب

فقد يقال لماذا لم ينص الدستور على حرية تأليف الأحزاب مثلا بدلا من الاتحاد القومى ؟ !

ويكفينا للرد لى هذا ، نقطة واحدة ، فمعنى تأليف أحزاب أنه سوف يوجد أكثر من حزب وسيكون لكل حزب وجهة نظره الخاصة فى مختلف قضايانا الخارجية والداخلية : ومعنى هذا أنه سيكون من الممكن حزب من الأحزاب أن يطالب بقبول مشروع أيزنهاور الذى مات أو حلف بغداد الذى يحتضر ، وطبقا لنص الدستور سيكون من حق حزب كهذا أن يزاول نشاطه ويصدر صحفا ويعقد اجتماعات ، ويدعو لرأيه بكل ما فى طاقته من قوة .. ولا يستطيع كائن من كان أن يعترض على شىء من هذا ، تماما كما كان يحدث أيام الملك حين كانت تدعو بعض الأحزاب والصحف إلى قبول معاهدة صدقى – بيفين ومشروع حلف

البحر الأبيض . ومعنى وجود حزب كهذا أنه لم يكن ثمة داع لقيام الثورة أصلا ولا معاداة الاستعمار : معناه أن الدستور يتنكر لكل الخطوات الحاسمة التي خطاها شعبنا : معناه أن نعود إلى الوراء : وطبعا إذا سمحت قيادة الثورة لنفسها أن تعود إلى الوراء فالشعب لن يسمح ، وإذا سمح الشعب فالتاريخ لن يسمح ، والحياة لن تسمح ، أطفالنا وشهداؤنا وضحاينا وعقائدنا وأدياننا لن تسمح ..

وقد يقول قائل أيضا ، لماذا لم يسمح الدستور بتجربة قيام الاحزاب داخل نطاق مقاومة الاستعمار والحياد الايجابي ؟ وهذا القول بعد في حد ذاته لغوا ، فمعنى هذا أن يسمح الدستور " بحرية " قيام الأحزاب وفي نفس الوقت لا يسمح لها بحرية وضع برامجها ، بمعنى أنه يأخذ باليمين ما يعطيه باليسار لأنه لا يوجد الاحزاب وينفى وجودها في نص واحد : وحتى إذا فرضنا جدلا وحدث هذا ، فأية قيمة لتعدد الأحزاب في ظل برنامج واحد ، ثم من الذى يراقب الأحزاب ليرى أن كانت تعمل داخل هذا النطاق أو تعمل خارجه ومن الذى يتولى عقابها أو إلغائها أو لفت نظرها ؟ !

إلا يعد هذا حينئذ مهزلة ؟ !!

وضع لابد من مراعاته

نحن أذن فى ظل وضع لابد من مراعاته .

الحرية هى دائما حرية الحركة داخل وضع محدد ، ومحدد لأن الأوضاع دائما محددة ، وقد كنا وسنظل داخل وضع محدد يحتم علينا أن نتحرك فى نطاقه فقط ، وأن لا نتجاوزه ، إلا هلكنا ك وأن لنا أعداءه

وأذنا با أعداء استعمرونا واذلونا ثم ثرنا عليهم وطردهناهم ، وخرجوا من بلادنا ولا يزالون يتربصون بها ، ويتحينون الفرصة لطحنا واستعادة سيطرتهم علينا ..

ونحن لا نهزل حين نقول هذا ، لأن أعدائنا لا يهزلون ، أن إجرامهم لا حدود له ودماء ضحايا بورسعيد لم تجف بعد ، ضحايا حقيقيين صرعتهم أيدي أعدائنا الغاشمة ، ونفس الأيدي التي يقطر منها الدم لا تزال تتحين الفرصة للوثوب علينا ..

وإذا عسكرت جماعة في غابة لا تزال حريتها في النوم أو اليقظة كما يحلو لها ، وإلا لزاوت الذئاب والسباع حريتها في التهامها كما يحلو لها : أليس كذلك ؟ !!

لابد أن من ايجاد وضع نوفق فيه رغبتنا الغريزية في النوم واليقظة كما يحلو لنا وبين الخطر الجائم من حولنا : ولهذا يتحتم أن نضع في اعتبارنا دائما الوضع الذي نحن فيه عن تفكيرنا في الوسيلة التي يمكن للشعب بها أن يزاو حرياته ومسئوليته ..

الوضع الذي نحن فيه ببساطة أننا مهددون بالاعتداء علينا وسلب حريتنا واستقلالنا وطبقاتنا وأماننا وآمالنا ، ولهذا لا خلاف بيننا على أن واجبنا الأول هو مقاومة ذا التهديد ، وأخذ الحذر ، وتدعيم استقلالنا : نحن كلنا متفقون بالإجماع على مقاومة الأعداء مهما كان هؤلاء الأعداء ، والتعاون مع الأصدقاء مهما كان أولئك الأصدقاء ، تلك هي الحقيقة البسيطة وهي أيضا الطريقة الوحيدة لكي نبقي أحرارا ، ولكي لا نموت ..

الاتحاد القومي بكل بساطة

ذلك هو الاتحاد القومى بكل بساطة ..

أنه ليس حزبا ، وليس جبهة ، وليس معنى انشائيا مجردا ، أنه طريقنا للدفاع عن النفس ولا طريق سواء ، أنه ليس وسيلة اختيارية بل هو ضرورة حتمية تملئها ظروفنا الجديدة ومسئوليتنا الجديدة .

فإذا كان وجودنا نفسه بعد الثورة ضروريا – وطبعا وجودنا نفسه ضروريا – فوجودنا فى شكل اتحاد ومى ضرورة لازمة لهذا الوجود :

تلك الفكرة من الاتحاد القومى : وذلك هو السبب الذى من أجله نص دستورنا على وجوب يام القومى ..

علامة السنة السابعة

ان الاتحاد القومى هو علامة السنة السابعة لثورتنا فأذا كان الشكل الذى اتخذته ثورتنا على الاستعمار هو عزل الجيش عن الملك ثم عزل الملك عن الشعب وعن القوات الاستعمارية ، ثم قهر العدوان الاستعمارى تدعيم حيادنا الإيجابى ، فإن السمة اللازمة لاتمام مهام ثورتنا الباقية هى أن نكيف أنفسنا لهذا الوضع الجديد ، وننظم أنفسنا طبقا للأوضاع الكثيرة التى مررنا بها : فالثورة كانت أول الأمر تنظيما سريا ثم أصبحت مجلس قيادة ثورة ثم أصبحت حكومة تقود شعبا بلا واسطة بينهما ، والوضع يحتم علينا الآن ن يقود الشعب نفسه بنفسه ، وأن يصبح الشعب حر القيادة وحر القاعدة ، وهو المشروع وهو لمنقذ وهو الحاكم وهو المحكوم . وهو الثورة : ولكى يتحقق هذا لابد من الاتحاد القومى : أنه الوضع الذى كان تتحتم على ثورتنا ن تنتهى إليه كما تحتم عليها ان تبدأ كما بدأت : فكيف يتم هذا الوضع ؟ !

فى التطبيق

وإذا جئنا للتطبيق ، فما هو الاتحاد لقومى فى الواقع ؟ ! قبل أن نجيب على هذه الأسئلة لابد من ذكر حقيقة مهمة ، فمع أن تعبير الاتحاد القومى تعبير ريب لم يطرق مسامعنا من قبل ، إلا أن حقيقة الاتحاد القومى نفسها ليست غريبة بالمرّة ، انها شىء نعيشه ونحياها شىء قائم وموجود فعلا وكل ما فعله الدستور هو أن أسماه .

أما كيف هو قائم فعلا ، فأن المسألة فى غاية البساطة ، قبل الثورة كان الشعب يحكم أما اسما من خلال توالى الأحزاب التى كانت تدعى تمثيله على مقاعد الحكم : وأثناء الثورة حين ألغيت الأحزاب والملكية كان الشعب يحكم من خلال قيادة الثورة ، أى أن قيادة الثورة كانت تتولى تنفيذ المطالب الشعبية وخوض المعارك باسم السلطة التى تستمدّها من حقيقة هى أنها ثورة الشعب ضد الأوضاع الفاسدة التى أدت إلى الثورة

..

وبعد فترة الأنتقال ، أنتخب الشعب بالإجماع الرئيس جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية اعتمادا على تاريخه الناصع وصموده الجبار من اجل تنفيذ المطالب الشعبية ، وثقة فى أخلاصه وأيماننا بأنه سيمضى قدما لتحقيق ما لم يتحقق بعد من مطالب الشعب ، وحين نقول الشعب بالإجماع قد فعل هذا ، فنحن لا ننكر الحقيقة التى تقول أن الشعب مكون من طبقات بينها منازعات داخلية وخلافات ، ولكننا نقول أن مصالح الشعب بكافة طبقاته وفئات ، قد اتفقت على نقاط لا خلاف بينها عليها هى الاستقلال والقومية العربية ، والحياد الإيجابى والحرية والسلام .

وهذه الطبقات والفئات رغم كل خلافاتها حول شخص الرئيس جمال عبد الناصر لتنفيذ هذه المطالب : بمعنى أن هناك سواء أردنا أم لم

نرد ، نقاط إلتقاء بين الشعب فى الجمهورية عامة وبين طبقاته ، وأن
نقط الالتقاء هذه هى التى حددت الثقة المطلقة فى الرئيس جمال ، وهى
التى تحدد أيضا حركة الشعب فى حلال المرحلة التاريخية الحاضرة ،
نحن أذن لا ننفى وجود عشرات نقاط لخلاف بين أفراد الشعب بعضهم
البعض وبين طبقاته فتلك حقيقة موجودة لا سبيل الى نفيها أو إنكارها
، لكننا نقول أن هناك نقط إلتقاء ثابتة ، وأن برنامج حكومة الرئيس جمال
عبد الناصر قائم على اساس هذه النقط : وعلى هذا فحين حدث العدوان
الثلاثى الغاشم مثلا ، تكتل الشعب وراء زعيمه فى جسد بشرى واحد
للدفاع عن نقط التقائه هذه ولحمايتها من أعدائها وأعدائه الغاشمين .

والوضع الآن هو أن هذه النقاط لاتزال مهددة ، ولا يزال الخطر
يهدق بها : فمن واجبنا أذن تأمين ذه النقط ، من واجبنا تأمين استقلالنا
وحریتنا وحيادنا وعروبتنا ، ولن يتم هذا التأمين بأن يقف شعبنا بجميع
أفراده وهيئاته وطبقاته حول شخص الرئيس جمال عبد الناصر فقط ،
ولكن لا أيضا لكى يتم هذا التأمين ن تتجسد نقط التقائه هذه فى تنظيم
واحد يقود شعبنا جميعا أفراده وهيئاته وطبقاته فى اتجاه هذه النقاط :
وبغير هذا لن يوجه الشكل النهائى المستقر للثورة أذا ظل شخص الرئيس
جمال فقط هو محل ثقة الشعب وحده ، وبقيت المسافة بينه وبين جماهير
الشعب خالية من قيادة شعبية هى أيضا محل ثقتنا كئشب ، أذ ظل الوضع
كهذا فسوف يظل الخطر محدقا بكل مكاسبنا وبكل نقاط التقائنا ،
وباستقلالنا وبحریتنا وبعروبتنا وبعيادنا .

لقد التقينا عند شخص الرئيس جمال عبد الناصر فى الحقيقة كزعيم
وكرائد وكرمز : والاتحاد القومى باختصار هو جمال عبد الناصر الرمز
: هو تجسيد لجمال عبد الناصر الرمز : هو تجسيد لاهدافنا المشتركة

وصالحنا المشترك : هو خط الثورة فى كل منا : هو الجزء الذى ثار
والذى يجب أن يبقى ثائرا ومن الواجب أن يحمى كل ما أحرزناه ،
ويناضل فى بيل ما لم نحرزه ..

لقد كان كل واحد منا يدافع عن مصر ايام العدوان الغاشم كان
مصر كلها ملكه وهو وحده المسئول عنها ، وحين كنا نفعل هذا كنا
نمثل أروع تمثيل ثورتنا على حقيقتها ، بمعنى أننا فى أيام المحن فقط
كان كل فرد منا هكذا ، وكانت الطبقات تتناسى كل ما بينها من خلافات
، أقصد فى ايام المحن الظاهرة للعيان فقط ، حتى إذا ما مضت ، عاد
كل منا إلى طبيعته وإلى مشاكله مع غيره ومع نفسه .

هدف الاتحاد القومى

الاتحاد القومى يهدف من بين ما يهدف إلى أن تبقى الشعلة التى
تثور فى كل منا أيام المحن موقدة ومضيئة ، يحملها الناس فى ايديهم
ننتقيهم بعناية لنضمن نقاء عناصرهم وسلامة الضوء الصادر عنهم ،
أناس اختلطت قضيتنا العامة بأشخاصهم واختلطت اشخاصهم بقضيتنا
العامة حتى صاروا والقضية وحدة واحدة لا تتجزأ : أجل : الاتحاد
القومى وجد بيننا فعلا ، وزاولناه أيام المؤامرة على الإقليم الشمالى :
وأيام الوحدة ، زاولنا الاتحاد القومى بكل معناه وبكل مراميه لدى كل
اعتداء ولدى كل انتصار ..

وبالطريقة التى زاولناه بها كان الاتحاد القومى موجودا بشكله
الحقيقى ، فلم يوجد لينطلق باسم فئة من الفئات ولا هيئة من الهيئات أو
فرد من الأفراد ، وجد لينطق باسم شعبنا العربى كله ، وبالذات باسم
مطالبه الأساسية التى تلتقى عندها كل فئاته وطوائفه وأفراده ، بل أنه
حين وجد لم يكن ينطق باسم مطالبنا الأساسية نحن الشعب العربى فقط

بل كان فى واقع أمره ينطق باسم المطالب الأساسية لغيرنا من الشعوب فى المنطقة ، باسم كل شعب ثائر فى عصرنا الحاضر ، وباسم القيم الإنسانية العليا التى أرادها لنا خالقنا ونزلت بها كتبه ورسالاته ..

ذلك هو الاتحاد القومى كما نريده أن يظل موجودا لا فى أوقات المحن والانتصارات فقط ، ولكن على الدوام ، ولن تكون مهمته مقصورة على الدفاع عن النفس فقط ، ولكن لكى تصبح مهمته الدفاع الإيجابى واصل عن النفس ، الدفاع الذى لا ينتظر العدوان ليدافع ولكنه يمنع العدوان قبل وقوعه ، الدفاع الخلاق الثائر لا ينضب حماسة : بهذا لا يصبح الاتحاد القومى مجرد هيئة ، ولكنه يصبح جامعة الوطنية التى تربي وتدرّب وتعلم وينصهر فيها زعماء المستقبل وقادته ورجاله أحزابه الجديدة ، الأحزاب التى سوف تنشأ على اسس جديدة فى العالم القادم الجديد ، العالم الذى سيتخلص من الاستعمار والعدوان والتهديد : ولهذا فنحن لا نريد أن نكتفى بالشكل الحتمى الذى وجد به الاتحاد القومى .

كيف يتم ؟

أنا نريد هذه المرة وقد وعينا وجوده وأدركنا خطورته أن تطور هذا العمل الحتمية وبنينه ، ونفعل هذا بأقصى ما نستطيع عقولنا أن تبتكره له من تنظيمات ووسائل ، وبأقصى ما نستطيع ثورتنا أن تصنع له من أجهزة ، إذ هو سدنا العالى ضد التأخر ، وضد العودة إلى الماضى المظلم السحيق ، ومن أجل تدعيم وجودنا وبذل معونتانا لغيرنا

من الشعوب التي تخوض مثل معاركنا وتقريب اليوم الذي يسود فيه الأمن هذا العالم وينتهي فيه العدوان .

فكيف يتم هذا ...

فى رايى أنه لا يتم إلا بطريقة واحدة هى أن يكون الاتحاد القومى اتحادا قوميا حقيقيا كالاستقلال ماما ليس هناك ربع استقلال أو نصغ استقلال ، أما الاستقلال وأما العبودية ، وأما اتحاد قومى وأما فلا : ولهذا فنحن لا نتمتع بحرية كبيرة حين نريد بناء هذا الاتحاد فطريقة بنائه تحددها المهمة التى تنتظره ، الطريقة التى تملئها كلمة الاتحاد القومى نفسها : وبمعنى أنه ذا تركنا الحكومة تقيمه — حتى حكومة الثورة — فمعنى هذا أن يصبح أحد الأجهزة الحكومية الكثيرة وينتقى الغرض من وجوده : ونحن إذا تركنا اتجاهها معيناً يسطير على تكوينه معنى هذا أن يتحول إلى حزب يمثل فئة من فئات الشعب وبالتالي فإنه لن يمثل بقية الفئات والطوائف ، فينعدم الهدف من وجوده ..

ونحن إذا جعلناه يهبط على شعبنا من أعلا كالتفاحة فإنه لن يكون حينئذ ثمرة ناضجة وإنما يكون ثمرة فاسدة ، لأن الاتحاد القومى مثله مثل الثورة ، لا تهبط على الشعب من أعلى ، ولكنها تتبع من ذات الشعب ومن ضميره ومن صميم رغبته ومصالحه ، والفائدة العظمى من الثورة تأتي لأن الذى يقوم بها هو الشعب نفسه ، لأن الشعب أثناء عملية ثورته يتغير ويتطور ولهذا فإنه حين يصل إلى الأوضاع الجديدة التى تقوم بعد الثورة يصل إليها عن استحقاق ، وعن صلاحية ، ويمكنه أن يحيا فى ظلها حياة شريفة سليمة : وإذا حدث أن تحققت الثورة لشعبنا بوسيلة ما غير دمه وعرقه ، أى إذا لم يخض الشعب تجربة الثورة ، فإنه لا يتغير ، وبالتالي لا تكون الثورة قد أنت بنتيجة كبيرة ولا حتى

صغيرة ، إذ أن أهم شيء في الثورة هو أنها لا تحطم أوضاعا بالية عتيقة وتأتى بأوضاع جيدة قوية فحسب ، وإنما أهم شيء فيها هو أن هذه العملية ها عملي ثورة داخلية في قلب أفراد الشعب أنفسهم ، تتحطم نتيجة لها أوضاع وقيم بالية ، وتخلق أوضاع وقيم جديدة ..

وهنا تكمن كل فائدة للثورة : فلا فائدة أن ينال العبد حرته ويزاولها بروح العبد ، أن الفائدة التي تأتي من ثورة العبد على قيوده وسيده هي أن روح العبد تتحطم فيه أثناء هذه الثورة وتتفجر فيه روح الحر ، ولهذا ينال حرته يزاولها كحر : بهذا فقط تكون ثورته قد نجحت ويكون قد نجح في تحطيم أغلاله الخارجية وأغلاله الداخلية ، وأصبح حرا في الداخل وحرا في الخارج ..

وقفه صغيرة

ولنقف وقفة صغيرة عند هذه النقطة ، إذ أنها شديدة الصلة بموضوعنا : فنحن حقيقة قد نجحنا في طرد الاستعمار ونال الحرية وتحطيم كافة الأوضاع الفاسدة التي كانت تقيدنا .

ولكن : هل نجحنا حقيقة في تحطيم الأوضاع الفاسدة التي كانت في داخلنا ؟ هل قتلنا في أنفسنا روح العبد إلى الأبد ، وأصبحنا نحيا بروح الحر ؟ ذلك سؤال قد يجيب عليه بعض المتحمسين يقول : أجل لقد تم هذا : والواقع أ، هذا لم يتم بعد أو على الأقل بالنسبة للبعض فينا : أن أفساما منا لا تزال تحيا في الحاضر المزدهر بنفس عقلية الماضى الغابر

، ولا زالت أقسام منا تردد نفس النغمات التي تعودت ترديدها وأرضنا
محتلة أيام كنا نحيا فى سجن كبير ..

لا زال البعض منا يحيا كما لو كان الإنجليز هم الذين يحكموننا ،
ولا يزال هذا البعض يحس رغما منه بالخوف من الحكومة : أن هذا
البعض لم يدرك بعد أن تضحية كل منا بجزء منه لا نقاذ جماعتنا الكبيرة
هو قمة الإنسانية وقمة الحرية : أنهم لا يزالون ينظرون إلى التضحيات
كما لو كانت ضرائب تجبيها الحكومة !!

أن على هؤلاء أن يستيقظوا وعليهم أيضا أن يدركوا الحقيقة
الواضحة التي يعيشون فى ظلها : عليهم أن يدركوا أن حكومة اليوم
مختلفة اختلافا اساسيا عن حكومة الأمس ، فهي منهم ولهم وهى ليست
عدوتها ، هى الحكومة التي تدافع عنهم فى الخارج فكيف لا ترعى
أمورهم فى الداخل ؟ !

عليهم أن يدركوا أن الأرض أرضهم والحكومة حكومتهم والمستقبل
مستقبلهم هم ، هم وحدهم الذين بيدهم ن يجعلوا منه جنة أو يجعلوا منه
جحима ، وهم وحدهم الذين سوف يقودون أنفسهم للوصول إلى هذا
المستقبل ..

أجل .. نحن الذين علينا أن نقود أنفسنا بأنفسنا لنحمى الحاضر
ونضع المستقبل ..

والاتحاد القومى هو الوسيلة التى نقود بها أنفسنا بأنفسنا : ويجب
أن يكون هو الوسيلة التى نقود بها أنفسنا بأنفسنا : هو وسيلة الحر لقيادة
نفسه الحرة : وهو من هذه الزاوية يختلف أيضا اختلافا اساسيا عن
التنظيمات التى كانت قائمة قبل الثورة : لقد كانت تلك التنظيمات وسيلة
عبيد يريدون تحسين أحوالهم وتغيير قيودهم بقيود أخف : كانت وسيلة

استجداء : أما الاتحاد القومى فهو وسيلة الأحرار : وسيلة من يثق فى نفسه ، وفى مزاياه وحتى فى أخطائه : وسيلة من تحرر وإدرك أن البلد بلده والأرض أرضه وكل ما عليها خاضع لسلطاته ، وليس له إلا أن يقول للوضع كن فيكون : هو البوتقة التى سوف تنصهر فيها كافة أوضاعنا الداخلية التى لم تغيرها الثورة بعد ، البوتقة التى سوف تنضج فيها شخصيتنا كاملة : تنضج فيها وحدتنا ، وأيضا تنضج فيها لآفاتنا : تنضج وحدتنا ، وحدة أحرار أقوياء وليست وحدة بيد ضعفاء ، وتصبح خلافتنا : تنضج وحدتنا ، وحدة أحرار أقوياء وليست وحدة عبيد ضعفاء ، وتصبح خلافتنا وهى ليست خلافت عبيد أزلاء ، ولكنها خلافت أحرارا تحرروا من الخوف والأوهام والظلم من الخلف وفى الظلام : أنه جهاز توجده الثقة فى أنفسنا كشعب لينسى الثقة فى أنفسنا كثورة ، جهاز يجمع الجزء الثائر فى كل منا ويضمه إلى الأجزاء الثائرة الأولى لتكون جميعها قيادة ثورتنا ..

هو الأداء الشفاف الذى يحوى كل الحائزين على ثقة شعبنا وكل البلورات الثائرة المتفرقة لتجتمع ول تكافح من اجل تطوير فننا وبلدنا وشعبنا وتحقيق أهدافه وآماله ..

تنظيم لنا جميعا

هو بالاختصار تنظيمنا جميعا كأمة ، وكيان كل منا كفرد ، والتنظيم الذى نفخر به كأمة ونفخر به كأفراد : التنظيم الذى يستطيع أن يجعلنا فلاحين وعملا وطلبة وأساتذة جامعات وتجار وموظفين ، لنجد

فيه نفسنا الواحدة وشخصيتنا الواحدة ، ولنجد فيه الوحدة الحقيقية ،
ولنختلف فيه الاختلاف الحقيقي ، ونتعلم كيف يمكن أن نتحرك جميعا
داخل نطاقه في خط مستقيم واحد ، وفي نفس الوقت كيف يمكن أن
نتحرك خطوط جانبية وفرعية دون أن نحيد عن خطنا الواحد المستقيم ،
ودون أن نبعث صفوفنا أو نبدد مكاسبنا : ونحن لأن وبعد ست سنوات
من قيام الثورة نحيا في ظل أوضاع مختلفة تماما عن أوضاعنا قبل
الثورة ، بلادنا الآن بلاد مستقلة ذات سيادة ، تسيطر على أرضها
ومقدراتها وجيشها ، وحكومتها ، وتعمل لاتمام رسالتها الخالدة في جمع
شئات أمة العرب وفي سحق كافة القوى الاستعمارية في منطقة الشرق
الأوسط وآسيا وأفريقيا وتصادق من يصادقها وتعادى من يعادينا ..
وأوضاع جديدة تماما علينا وعلى العالم ، والعالم ينظر إلينا الآن
خلال هذا المنظار وفي داخله ذلك الإطار : أفلا ننظر نحن لأنفسنا من
خلال ذلك المنظار وداخل ذلك الإطار ؟ ! هذه الأوضاع الجديدة صنعها
شعبا بثورته ، وكان شعبنا يخلق دائما القيادة المناسبة للمرحلة المناسبة :
واليوم لابد لهذه الأوضاع الجديدة من قيادة جديدة ، قيادة تكون أكبر
وأوعى ، قيادة تستوعب قضيتنا الحاضرة ولا تتفرق في تفاصيلها ، قيادة
تتحرك إلى أهدافنا بأسرع منا ، قيادة هي كل مقدرتنا واخلاصنا وحماسنا
وطاقتنا على الحركة ...

قيادة الاتحاد القومى

تلك القيادة هي اتحادنا القومى ، وتلك القيادة لا تستطيع الآن أن تقول عن طاقتها وشكلها وقدرتها كل شىء ، فذلك أمر متروك لها حين تلتقى وتخلق هي بنفسها ، شكلها وأسلوبها وطريقتها ولكننا نعتقد أننا بكل ما قلناه عن هذه القيادة ونقوله ، أننا نعبر عن بعض ما يجيش فى صدورنا وفى صدور شعبنا من آمال يعلقها على قيام الاتحاد القومى ، والحديث فى هذا قد يطول بل لابد أن يطول : ولكننا يجب إلا نتحدث فقط يجب أن يمتزج ما نريده فى المستقبل بما نعمله الآن وما نعلم به لايامنا المقبلة بما ننجزه فى ايامنا الحاضرة : يجب أن نتحدث ونحن نعمل ، ونتحدث عما صنعناه حقيقة وعما يمكن أن نصنعه أكثر من حديثنا عما يجب أن نصنعه ..

وقد رأينا أن قيام الاتحاد القومى ليس ضرورة فقط من ضرورات ثورتنا ، ولكنه أكثر من هذا ، مسألة حياتنا فى حاضرتنا ومستقبلنا أو موتنا .. حياتنا كلنا أو موتنا كلنا : وإذا كان كل منا يسأل نفسه كل يوم فى آخر يومه ماذا صنعت لتدعيم حياتى ؟ وإذا كان كل مخلص منا يسأل نفسه أيام الملك فى آخر اليوم ماذا صنعت لانتهاء هذا الوضع الخانق ؟ فيجب على كل منا أن يحس بنفس هذه المسئولية مضاعفا ، ويسأل نفسه أيضا فى آخر كل يوم ماذا فعلت لتدعيم وحدتنا القومية ، وكم لبنت أضفت لبناء الاتحاد القومى : يجب هذا وجوب نسمات الهواء التى نستنشقها ، ونبضات الحياة التى تسرى فى دماننا ، لأننا إذا كنا نحاول اليوم أن نبني بلادنا بعد أن أصبحت بلادنا فعلا ، فمن الواجب أن نبنيها جسدا وروحا : وإذا كانت المصانع والجيش والمدارس والخزانات تكون جسد أمتنا ...

فالالاتحاد القومى هو روحها ...

أنور السادات

www.anwarsadat.org